Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



عايدة. ولماذا هذا البذخ... ونحن نموت من الجوع والفقر».

الموت هو سيد المكان والزمان، الموت حاضر بقوة في الجوار. لذلك اقترح عليَّ سعد ومحمد أن أزور مقابر قايتباي، حيث يقطن آلاف الناس في المقابر التي فرشوها وسكنوها وأصبحت مثل الشقق المفروشة.

فمن مقابر آلاف السنين انطلقنا إلى مقابر القرن العشرين، وبدأت أشعر برائحة الآخرة، في ذلك النهار الحار، وبدأت الصور تتوالى على الشاشة الممتلئة بالغبار، فتذكرت جنازة عبد الناصر حين شيعه الملايين على ضفاف النيل، وتجمعوا في أكبر جنازة تاريخية. ومرت أمامي جنازة عبد الحليم حافظ حيث انتحرت نسوة كثيرات لأجله، وتوالت مشاهد الولولة والزغاريد وحلقات الندب التي تملأ الفيلم المصري والرواية المصرية، فما قرأت رواية مصرية إلاّ وكان هناك جنازة أو مأتم، وتوقفت كثيراً ـ في سياق التداعي ـ أمام تمثال «كاتمة الأسرار» لمحمود مختار في متحفه وتلك الحالة الانطوائية إلى الداخل. حتى إن مشهد ملايين الناس في ميدان التحرير الراكضين خلف الباصات يوحي بأنهم في جنازة ضخمة يشيعون شيئاً ما، ومرَّ مثل لمح البصر في خيالي موت «فهمي» أحد أبطال نجيب محفوظ في ثلاثيته، وبكاء أمه «أمينة» وانزواء أبيه أحمد عبد الجواد، وبعدها موت الشقيقة وأطفالها. حتى أن النسوة في الشارع يغلب عليهن ارتداء الثوب الأسود فستاناً أو جلابية، كأنهن رايات سود، ترفرف على الأرض التي خرج منها «كتاب الموتى» أقدم نص شعري كتبه الفراعنة.

هل يتوارث المصريون رعشة الحزن وشفافيته؟ وحين لمحت النيل تحول فجأة في مخيلتي إلى جنازة أوزيريس أعظم آلهة مصر